



طب أعصاب Gillette

(كما يراه مريض)

«العيادة تعالج المرضى. مجتمع الرعاية يسند الناس.»

أولاً. المرض العصبي

كان الجميع يخشون فقدان القلب.

ظل القلب قروناً يعدّ مركز الحياة، ومقرّ المشاعر والقوة والشجاعة. فإذا توقف القلب انتهى كل شيء.

ثم أخذت البشرية تدرك شيئاً فشيئاً أن هناك حاكماً آخر.

صامتاً.

خفياً.

مطلقاً.

الدماغ.

كان يكفي أن يتأمل المرء العائلات والأصدقاء والمعارف، وتعاقب الأجيال ومجيء المرض، ليدرك حقيقة بسيطة: الدماغ يحكم كل شيء.

كل حركة.

كل كلمة.

كل ذكرى.

كل أمل.

حين يختلّ الدماغ، لا يتألم جزء واحد من الجسد فحسب. المنظومة الإنسانية كلها تتألم.

زمناً طويلاً كان الجواب هو الخوف.

كان المصابون بالأمراض العصبية يُعزلون ويُخَفَّون، وقلَّما يُفهمون، وأندر من ذلك أن يجدوا عوناً. وكانت العائلات تحمل وحدها عبئاً هائلاً. كانت المعرفة الطبية محدودة، والمرافق المتخصصة تكاد تكون معدومة. بدت معركة مكتوباً عليها الخسارة.

ثم جاء زمن الفهم.

أدركت البشرية أنها ليست أمام حالات معزولة، بل أمام واحد من أكبر تحديات وجودها نفسه. باركنسون.

ألزهايمر.

الأمراض التنكسية.

الإصابات العصبية.

الرضوض.

الأمراض النادرة.

العلل الخلقية.

أسماء مختلفة لحقيقة واحدة: هشاشة ذلك العضو الذي يحكم كل وظيفة في حياتنا.

منذ تلك اللحظة لم يعد طب الأعصاب مجرد تخصص طبي.

صار مسؤولية جماعية.

المرض العصبي لا يطرق الباب.

يدخل حياة الناس ويغيّر قواعد اللعبة.

ثانياً. لماذا؟

لشرح معنى أن يعيش المرء مع مرض عصبي:

الجسد الذي لا يستجيب؛

الحدود؛

الاعتماد على الغير؛

فقدان الاستقلالية؛

إعادة تعريف ما هو طبيعي.

لا المرض.

الحياة حول المرض. الحياة حول الآخرين.

من يحمل العبء لا يكاد يكون المريض أبداً. المريض كثيراً ما يقاتل وهو لا يدرك ساحة المعركة تمام الإدراك. أما من يبقى إلى جواره فيرى الزمن يغيّر شكله، ويتعلم أن كل يوم يُنتزع أثمن من الوعود الكبرى.

المرض قادر على أن يحرف المسار. لكنه لا يقدر على محو قيمة الإنسان.

الحب هو الجزء الجوهري في ذلك كله، أبعد من أي ظفر محض — ولن يعرف أحد أبداً ما الذي سيصيبه.

لقد مررتُ بذلك: اضطراب ثنائي القطب، غير محدد الدرجة، تبين في النهاية أنه ليس أكثر من يقظة مفترطة منذ الطفولة سببها أمي التي عملت بالمثل القديم «الضرب والفتائر يصنعان أولاداً حسناً»، فأشبعني صفعاً وشغلت في دماغي معادل الترددات.

أن أفهم الأشياء قبل وقوعها — لكنني لست ساحراً ولا ولياً ولا صانع معجزات.

ومع ذلك قريب ممن يتألمون — بعد أن فقدتُ أمي وأبي كليهما بسبب ألزهايمر، وبعد ذلك السؤال: لكن من هذا؟ لا أعرفه.

ثالثاً. خاتمة

العيادة مبنى.

مجتمع الرعاية شيء أكثر من ذلك.

هو اللقاء اليومي بين أناس يتألمون، وأناس يرافقون، وأناس يرعون، وأناس اختاروا أن يحملوا مسؤولية بناء مكان يمكن فيه للأمل أن يتحول إلى منهج والتزام وإمكان.

هذه الصفحات لا تحكي عن مبنى.

تحكي عن الناس الذين يعبرونه.

كل يوم.

رابعاً. صفحة المؤلف

لم يكتب هذا العمل بتكليف من أحد.

لم يُبع.

لم يُنجز لغرض تجاري.

كُتب ليشهد لقيمة إعادة التأهيل، وللكرامة الإنسانية، وللعلاقة بين الناس.

الأجر الوحيد المطلوب دولار رمزي — لا ثمناً للعمل، بل شهادة على التزام مشترك بثقافة الرعاية والأمل والمسؤولية.

فرديناندو

Gillette ← PDF، ملحة المريض

استكشف الملاحم الأخرى

· Vatican · One Door · Genesis · Opera · Wood · المكتبة · الخرائط · The Corpus

اتصل بنا